

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- تفسير سورة "نوح" الآية / ١٥-٢٨ /
- التفسير الميسر؛ سورة "النحل" الآية / ٧٥-٨٣ /
- مختصر الصواعق المرسله؛ الوجه الحادي عشر: أَنَّ الرَّبَّ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا رَحِيمًا
- موطأ مالك؛ باب جامع ما جاء في الرضاة
- فتاوى

(تفسير الشيخ البراك)

القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِمَّا خَطَبْنَاَهُمْ أُغْرِفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } [نوح: ١٥-٢٨]

الشيخ: يقول تعالى: { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا } هذا الكلام -والله أعلم- قد يكون من تمام قول نوح -عليه السلام-: { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا... } [نوح: ١٣-١٥]، إلى آخره، وقد يكون كلامًا مستأنفًا، والله أعلم.

{ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا } وكثيرًا ما يُذكر الله بخلق السموات والأرض وخلق الشمس والقمر { تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا } [الفرقان: ٦١]، فهذه آيات عظيمة مشهودة، فهذه السموات السبع طباق بعضها فوق بعض على

سَعَيْهَا، وكذلك الشَّمْسُ والقَمَرُ آيتانِ من آياتِ اللهِ سَخَّرَها اللهُ للعبادِ دائبينِ لا يقفانِ إلى أنْ يأتيَ أجلُهُما {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس:٣٨]، و{كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} .

{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}، كما قال سبحانه وتعالى: {أَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا} [النبا:٦-١٣]، فالشَّمْسُ ذاتُ ضوءٍ ووهجٍ، يعني فيها حرارةٌ ليستُ كنورِ القمرِ، ولهذا سماها اللهُ سراجًا {سِرَاجًا وَهَاجًا}، {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا} [النبا:١٢-١٤]، فهذه آياتٌ دالةٌ على قدرةِ الرَّبِّ وحكمتهِ ورحمتهِ وسعةِ ملكه سبحانه.

ثمَّ يقولُ تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} خلقَ آدمَ من ترابٍ، فاللهُ أنشأَ البشريَّةَ من ترابٍ، وقالُ تعالى: {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} [الأعراف:٢٥]، {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا} بالموتِ، بالموتِ والقبرِ، يموتونَ فيدفنونَ في هذه الأرضِ فيصيرونَ ترابًا {ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا} يومَ القيامةِ، {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه:٥٥]، تُخْرِجُكُمْ مَرَّةً أُخْرَى كما أخرجهم من الأرضِ في بدايةِ الخلقِ يخرجهم من الأرضِ مَرَّةً أُخْرَى.

{وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِسَاطًا} بساطًا واسعًا كما سماها فراشًا، {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ فِرَاشًا} [البقرة:٢٢]، ومهادًا ممهَّدةً، مهيَّئةً للعيشِ فوقَ ظهريها، يتصرَّفُ فيها النَّاسُ بالبناءِ عليها وبحفرها للزِّراعةِ والبناءِ وغيرِ ذلك.

{ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا} جعلَ منها طرقًا يصلونَ منها ويتوصَّلونَ منها إلى نواحي الأرضِ، تجدُ بينَ سلاسلِ الجبالِ يكونُ هناكُ طرقٌ يتجاوزُ منها النَّاسُ من ناحيةٍ إلى ناحيةٍ {لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا}

{قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي} في هذه الآياتِ يخبرُ تعالى عن عبدهِ ورسوله نوحٍ وشكايته لربه، يشكو قومه إلى ربه وعصيانهم وتمرُّدهم عليه وعنادهم {إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا} مكرًا عظيمًا، فسخرُوا من نوحٍ -عليه السَّلامُ- وعاندوه {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} [هود:٣٢]

{وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ} يوصي بعضهم بعضًا، أو الكبراءُ يوصونَ الضُّعفاءَ، {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ} يعني لقولِ نوحٍ، لا تذرُوا معبوداتِكُمْ، {وَلَا تَذَرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} وهذه كما قال ابنُ عباسٍ أسماءُ رجالٍ صالحينَ من قومِ نوحٍ، فلمَّا ماتوا أوحى الشَّيْطَانُ إليهم أنْ اعمدوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسونَ فيها وانصبوا لهم فيها أنصابًا وتمائيلَ ففعلوا فلمَّا هلكَ ذلك الجيلُ وجاءَ الجيلُ الآخرُ أوحى

الشَّيْطَانُ إِلَيْهِمْ بَأَنَّ هَذِهِ لَهَا شَأْنٌ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ فَعَبَدُوهَا، وَهَذِهِ بَدَايَةُ الشِّرْكِ فِي الْأَرْضِ سَبَبُهُ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ { وَلَا يَعْثُوتُ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا (٢٣) } وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَالًّا { هَذِهِ الْمَعْبُودَاتُ أَصْنَامٌ، تَمَاثِيلٌ أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَالًّا }

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا } يَعْنِي: بِسَبَبِ خَطِيئَاتِهِمْ جَمَعَ خَطِيئَةً وَهِيَ الذَّنْبُ { أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا } { فَكَلَّا أَحَدْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أُغْرَقْنَا } [العنكبوت: ٤٠]، فَقَوْمُ نُوحٍ وَفِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالْغَرَقِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: { مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا } فَمَاتُوا وَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَقَدْ فَصَّلَ اللَّهُ صِفَةَ غَرَقِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ فَتَحَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِالْمَاءِ { فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدٍ قُدِرَ } [القمر: ١٢]

وَأَيْضًا يَقُولُ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: { رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } وَهَذَا فِيهِ دَعَاءٌ عَلَى قَوْمِهِ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَغْضَبُوهُ وَأَذَوْهُ مَعَ بَذَلِهِ الْجَهْدَ الْعَظِيمَ فِي دَعْوَتِهِمْ، فَلِهَذَا دَعَا عَلَيْهِمْ وَقَالَ: { رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } يَعْنِي: لَا تَذَرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَقَدْ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ: { رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا }

{ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) } إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ { يَعْنِي: تَتْرُكُهُمْ وَتَبْقِيَهُمْ } يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا { وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ، وَكَأَنَّهُ لَاحِظٌ أَنَّ ذَرِيَّتَهُمْ تَابَعُوا آبَاءَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَالْفُجُورِ { وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } لَمْ يَكُنْ فِي الْأَجْيَالِ اللَّاحِقَةِ خَيْرٌ بَلْ مَضَوْا عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ أَسْلَافُهُمْ وَأَبَاؤُهُمْ.

ثُمَّ خَتَمَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْدُعَاءِ لَهُ وَوَالِدِيهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ قَالَ: { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ... وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ }، { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } يَعْنِي: هَلَاكًا وَدَمَارًا.

(تفسير السعدي)

القاري: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وَاسْتَدَلَّ أَيْضًا عَلَيْهِمْ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، فَقَالَ: { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا } أَي: كُلُّ سَمَاءٍ فَوْقَ الْأُخْرَى.

{ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا } لِأَهْلِ الْأَرْضِ { وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا }.

ففيه نبيه على عظم خلق هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجى.

{وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} حين خلق أباكم آدم وأنتم في صلبه.
{ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا} عند الموت {وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا} للبعث والنشور، فهو الذي يملك الحياة والموت والنشور.

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا} أي: مبسوطه مهية للارتفاع بها.
{لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا} فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك، بل ولا أمكنهم حرثها وغرسها وزرعها، والبناء، والسكون على ظهرها.

{قَالَ نُوحٌ} شاكيًا لربه: إن هذا الكلام والوعظ والتذكير ما نجح فيهم ولا أفاد.
{إِنَّهُمْ عَصَوْنِي} فيما أمرتهم به {وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا} أي: عصوا الرسول الناصح الشيخ: كأن الشيخ جعل كل الكلام الماضي من قول نوح -عليه السلام-، من قوله: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ...} إلى قوله: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا}

القارئ: أي: عصوا الرسول الناصح الدال على الخير، واتبعوا المأل والأشراف الذين لم تزدهم أموالهم ولا أولادهم إلا خسارًا أي: هلاكًا وتفويتًا للأرباح فكيف بمن انقاد لهم وأطاعهم؟!
{وَمَكَّرُوا مَكْرًا كَبِيرًا} أي: مكرًا كبيرًا بليغًا في معاندة الحق.

{وَقَالُوا} لهم داعين إلى الشرك مزيين له: {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ} فدعوهم إلى التعصب على ما هم عليه من الشرك، وألا يدعوا ما عليه آباؤهم الأقدمون، ثم عيّنوا آلهم فقالوا: {وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} وهذه أسماء رجال صالحين لما ماثوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم لينشطوا -بزعمهم- على الطاعة إذا رأوها، ثم طال الأمد، وجاء غير أولئك فقال لهم الشيطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا أوصى رؤسائهم للتابعين لهم ألا يدعوا عبادة هذه الأصنام.

{وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا} أي: وقد أضل الكبار والرؤساء بدعوتهم كثيرًا من الخلق، {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَالًّا} أي: لو كان ضلالهم عند دعوتي إياهم بحق، لكان مصلحة، ولكن لا يزيدون دعوة الرؤساء إلا ضلالًا أي: فلم يبق محل لنجاحهم وصلاحهم، ولهذا ذكر الله عذابهم وعقوبتهم الدنيوية والأخروية.
فقال: {بِمَا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا} في اليم الذي أحاط بهم {فَأَدْخَلُوا نَارًا} فذهبت أجسادهم في الغرق وأرواحهم للنار والحرق، وهذا كله بسبب خطيئتهم، التي أتاهم نبيهم نوح ينذرهم عنها، ويخبرهم

بشؤمها ومغبتها، فرفضوا ما قال، حتى حل بهم النكال، {فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا} ينصرونهم حين نزل بهم الأمر الأمر، ولا أحد يقدر يعارض القضاء والقدر.

{وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} يدور على وجه الأرض، وذكر السبب في ذلك فقال: {إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} أي: بقاؤهم مفسدة محضة، لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح ذلك، لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، فلهذا استجاب الله له دعوته فأغرقهم أجمعين ونجا نوحًا ومن معه من المؤمنين.

الشيخ: يمكن: نجى نوحًا

القارئ: ونجى نوحًا ومن معه من المؤمنين

{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا} خص المذكورين لتأكيد حقهم وتقديم برهم، ثم عمم الدعاء، فقال: {وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} أي: خسارًا ودمارًا وهلاكًا. ثم تفسير سورة نوح، والحمد لله.

الشيخ: اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك وعلى سائر الأنبياء.

طالب: هل كان والدا نوح مسلمين؟

الشيخ: هو الأصل، أقول: هو الظاهر والله أعلم، بخلاف إبراهيم لأننا علمنا أن إبراهيم أن أباه كان عدوًا لله {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} [التوبة: ١١٤]، ولهذا اختلف المفسرون في قول إبراهيم: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ} [إبراهيم: ٤٠-٤١]، صار للمفسرين فيها اختلاف؛ لأن والده...، أو يكون هذا من الاستغفار الذي وعد به أباه.

(التفسير الميسر)

القارئ: بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
قال الله تعالى: **{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ**

مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النحل: ٧٥]

ضرب الله مثلاً بين فيه فساد عقيدة أهل الشرك: رجلاً مملوكاً عاجزاً عن التصرف لا يملك شيئاً، ورجلاً آخر حرّاً، له مالٌ حلالٌ رزقه الله به، يملك التصرف فيه، ويعطي منه في الخفاء والعلن، فهل يقول عاقلٌ بالتساوي بين الرجلين؟ فكذلك الله الخالق المالك المتصرف لا يستوي مع خلقه وعبيده، فكيف تُسوون بينهما؟ الحمد لله وحده، فهو المستحق للحمد والثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون أن الحمد والتبعية لله، وأنه وحده المستحق للعبادة.

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل: ٧٦]

وضرب الله مثلاً آخر لبطلان الشرك رجلين: أحدهما أخرس أصم لا يفهم ولا يفهم، لا يقدر على منفعة نفسه أو غيره، وهو عبء ثقيل على من يلي أمره ويعولُه، إذا أرسله لأمر يقضيه لا ينجح، ولا يعود عليه بخير، ورجلٌ آخر سليم الحواس، ينفع نفسه وغيره، يأمر بالإنصاف، وهو على طريق واضح لا عوج فيه، فهل يستوي الرجلان في نظر العقلاء؟ فكيف تُسوون بين الصنم الأبكم الأصم وبين الله القادر المنعم بكل خير؟

الشيخ: يعني هذان مثالان من أمثال القرآن، مثالان ضربهما الله لئله الحق والمعبود الباطل، فالله تعالى الرب العظيم المالك المتصرف القادر، وما يعبدُه المشركون في غاية من العجز، فكيف يُسوَى المخلوق بالخالق والذي يخلق ومن لا يخلق، **{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}** [النحل: ١٧]، فهذان مثالان، بعض المفسرين يقول: مثالان لمعبود المؤمن الموحد وهو الله، ومعبود المشرك الصنم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع شيئاً، وقيل: إنهما مثالان للمؤمن والكافر، يعني مُثِّلَ المؤمن بمن بالرجل الذي يملك ويتصرف وله قدره، والكافر مُثِّلَ بالذي لا ينفع ولا يقدر على شيء، **{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ...}** {الشاهد أنه قيل: إنهما مثالان لمعبود المؤمن والمشرك، أو هما مثالان للمؤمن والكافر.

القارئ: **{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [النحل: ٧٧]

والله سبحانه وتعالى علم ما غاب في السموات والأرض، وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هو أسرع من ذلك. إن الله على كل شيء قدير.

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨]

والله سبحانه وتعالى أخرجكم من بطون أمهاتكم بعد مدة الحمل، لا تدركون شيئاً مما حولكم، وجعل لكم وسائل الإدراك من السمع والبصر والقلوب؛ لعلكم تشكرون لله تعالى على تلك النعم، وتفردونه عز وجل بالعبادة.

{أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل: ٧٩]

ألم ينظر المشركون إلى الطير مذلات للطيّان في الهواء بين السماء والأرض بأمر الله؟ ما يمسكهن عن الوقوع إلا هو سبحانه بما خلقه لها، وأقدرها عليه. إن في ذلك التّذليل والإمساك لآيات لقوم يؤمنون بما يرونه من الأدلة على قدرة الله.

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاءًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} [النحل: ٨٠]

والله سبحانه جعل لكم من بيوتكم راحةً واستقراراً مع أهليكم، وأنتم مقيمون في الحضر، وجعل لكم في سفركم خياماً وقباباً من جلود الأنعام، يخفّ عليكم حملها وقت ترحالكم، ويخفّ عليكم نصبها وقت إقامتكم بعد الترحال، وجعل لكم من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز أثاثاً لكم من أكسية وألبسة وأغطية وفرش وزينة، تتمتعون بها إلى أجل مسمى ووقت معلوم.

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} [النحل: ٨١]

والله جعل لكم ما تستظلون به من الأشجار وغيرها، وجعل لكم في الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجؤون إليها عند الحاجة، وجعل لكم ثياباً من القطن والصوف وغيرها، تحفظكم من الحر والبرد، وجعل لكم من الحديد ما يرد عنكم الطعن والأذى في حروبكم، كما أنعم الله عليكم بهذه النعم يُتِمُّ نعمته عليكم ببيان الدين الحق؛ لتستسلموا لأمر الله وحده، ولا تُشركوا به شيئاً في عبادته.

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [النحل: ٨٢]

فإن أعرضوا عنك - يا محمد - بعدما رأوا من الآيات فلا تحزن، فما عليك إلا البلاغ الواضح لما أرسلت به، وأما الهداية فإلينا.

{يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل: ٨٣]

يعرف هؤلاء المشركون نعمة الله عليهم بإرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم، ثم يجحدون نبوته، وأكثر قومه الجاحدون لنبوته، لا المقرّون به.

الشيخ: إلى هنا حسبك.

هذا أيضاً من جملة تعداد النعم في هذه السورة، هذه السورة سورة النعم، ذكر جملة منها في أولها، وجملة منها في وسطها، وهكذا هنا في هذا الموضع، في ثلاثة مواضع يعدد الله على عباده نعمه، ففي أول السورة **{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}** [النحل: ٥] فذكر منفعة الدفء بجلودها وأصوافها، وذكر نعمة الوقاية من الحر في هذا الموضع **{سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ}** [النحل: ٨١] فذكر النعمتين: نعمة الوقاية من البرد والوقاية من الحر بما خلق لهم من هذه النعم من جلود الأنعام ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها، وكل هذا المقصود منه التذكير بقدرة الله وحكمته ورحمته والأمر بعبادته سبحانه وتعالى، وإخلاص الدين له وشكره على ما أنعم وتفضل **{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}**، **{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}** ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(مُخْتَصِرُ الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ)

القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

الْوَجْهُ الْحَادِي عَشَرَ: أَنَّ الرَّبَّ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا رَحِيمًا، فَرَحْمَتُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَهَذَا كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَمَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَضَبَ، فَهُوَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ رَحِيمًا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ غَضَبَانًا، وَلَا أَنْ غَضَبَهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَلَا أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الْعُقُوبَةَ وَالْغَضَبَ، وَلَا أَنَّ غَضَبَهُ يَغْلِبُ رَحْمَتَهُ وَيَسْبِقُهَا، وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: (إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ) فَإِذَا كَانَ ذَاتُ الْغَضَبِ الشَّدِيدِ لَا يَدُومُ وَلَا يَسْتَمِرُّ بَلْ يَزُولُ، وَهُوَ الَّذِي سَعَرَ النَّارَ، فَإِنَّمَا سَعَرَتْ بِغَضَبِ الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِذَا زَالَ السَّبَبُ الَّذِي سَعَرَهَا، فَكَيْفَ لَا تُطْفَأُ، وَقَدْ طَفِيَ غَضَبُ الرَّبِّ وَزَالَ.

وَهَذَا بِخِلَافِ رِضَاهُ فَإِنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ دَائِمٌ بَدَوَامِهَا، وَهَذَا دَامَ نَعِيمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالرِّضَا، كَمَا يَقُولُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ: (إِنِّي أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا) فَكَيْفَ يُسَوَّى بَيْنَ مُوجِبِ رِضَاهُ وَمُوجِبِ سُخْطِهِ فِي الدَّوَامِ، وَمَ يَسْتَوِ الْمُوجِبَانِ.

الشيخ: سبحان الله العظيم، هذا كله وجهه نظر عندنا، توجهه واستنباطه، فالله هو الذي قال في الجنة والنار: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} يعني: المسلمون وأهل السنة ما قالوا هذا من عندهم، ما سَوَّوا بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ -من عند أنفسهم- في الدَّوَامِ، إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ إِيمَانًا بِخَبْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كُلُّهَا أُمُورٌ...، يعني كلُّ هذه الوجوه أمورٌ عقليةٌ، وجوهٌ عقليةٌ، وحكمةُ الله لا تخضع ولا تنحصر في معقولاتِ النَّاسِ، فليس كلُّ ما لا نعقله وندرُكُ حكمته نفيه، اللهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

القارئ: الْوَجْهُ الثَّانِي عَشَرَ: أَنَّهُ كَمَا قَيَّدَ الْغَضَبَ الشَّدِيدَ بِذَلِكَ الْيَوْمِ قَيَّدَ الْعَذَابَ الْمُرْتَبَّ عَلَيْهِ بِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ} [الزخرف: ٦٥] وَقَوْلِهِ: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [مرم: ٣٧] فَجَعَلَ الْعَذَابَ وَالْمَشْهَدَ وَاقِعَيْنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، بَلْ جَعَلَ الْعَذَابَ يَوْمَ الْعَذَابِ أَبَدًا.

وَلَا يُقَالُ فِي الشَّيْءِ الْأَبَدِيِّ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ: إِنَّهُ عَمَلُ يَوْمٍ، وَطَعَامُ يَوْمٍ، وَعَذَابُ يَوْمٍ، وَمَ يُنْتَقَضُ هَذَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: {وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ} [القمر: ٣٨] وَلَا بِقَوْلِهِ: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ} [القمر: ١٩] فَإِنَّ اسْتِقْرَارَهُ وَاسْتِمْرَارَهُ لَا يَقْتَضِي أَبَدِيَّتَهُ لَعَنَهُ وَلَا

عُرْفًا وَلَا عَقْلًا، وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ بَطْنِ الْأُمِّ أَنَّهُ مُسْتَقَرُّ الْجَنِينِ بِقَوْلِهِ: **{وَتَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ}** [الحج: ٥] وَقَالَ تَعَالَى: **{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ}** [الأنعام: ٩٨] سَوَاءً كَانَ الْمُسْتَقَرُّ صُلْبَ الْأَبِ وَالْمُسْتَوْدَعُ بَطْنَ الْأُمِّ أَوْ عَكْسَ ذَلِكَ، أَوْ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْبَرْزَخِ، كَمَا هِيَ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْآيَةِ، فَالْمُسْتَقَرُّ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَبَدِيٌّ، وَكَذَلِكَ الْمُسْتَمِرُّ لَا يَدُلُّ عَلَى الْأَبَدِيَّةِ. فَاسْتِقْرَارُ كُلِّ شَيْءٍ

الشيخ: صحيح "لَا يَدُلُّ عَلَى الْأَبَدِيَّةِ" لكن جاء ما يدل على الأبدية، صحيح لم يستنبط الأبدية من لفظ المُسْتَقَرِّ، علمنا الأبدية من التصريح بالتأيد، {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} سبحان الله العظيم! سبحان الله، سبحان الله العظيم! ومن أدلة دوامها دوام النار - أعود بالله من النار - قوله تعالى: **{كُلَّمَا حَبَّتْ زِدَانُهُمْ سَعِيرًا}** [الإسراء: ٩٧]، {كُلَّمَا حَبَّتْ} و "كلما" يفيد التكرار والاستمرار، {كُلَّمَا حَبَّتْ} فمن يقول بفنائها كلامه يقتضي أنها تخبو في حين ولا تُزاد بل تبقى خابئة، والله تعالى يقول: {كُلَّمَا حَبَّتْ}، {كُلَّمَا حَبَّتْ} زِدَانُهُمْ سَعِيرًا}، **{فَدُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا}** [النبا: ٣٠] إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، نسأل الله العافية.

القارئ: فَاسْتِقْرَارُ كُلِّ شَيْءٍ وَاسْتِمْرَارُهُ وَدَوَامُهُ وَخُلُودُهُ وَثَبَاتُهُ بِحَسَبِ مَا يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْإِقَامَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: **{لَا يَثِينُ فِيهَا أَحْقَابًا}** [النبا: ٢٣] وَهَذَا لَا يُقَالُ فِي لُبِّثٍ لَا انْتِهَاءَ لَهُ، وَتَأْوِيلُ الْآيَةِ عِنْدَ مَنْ تَأَوَّلَهَا أَنَّهُمْ يَلْبَثُونَ فِيهَا أَحْقَابًا لَا يَدُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، أَيْ: لَا يَدُوقُونَ فِي تِلْكَ الْأَحْقَابِ بَرْدًا وَلَا شَرَابًا: لَا يُفِيدُهُمْ شَيْئًا، فَإِنَّهُ يَلْزَمُ عَلَى تَأْوِيلِهِ أَنَّهُمْ يَدُوقُونَ الْبَرْدَ وَالشَّرَابَ بَعْدَ مُضِيِّ تِلْكَ الْأَحْقَابِ، وَمَتَى ذَاقُوا الْبَرْدَ وَالشَّرَابَ انْقَطَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابُ.

الوجه الثالث عشر: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَذْكُرُ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَصِفُهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ، وَأَنَّهُ مَا مِنْ نَفَادٍ وَيَذْكُرُ عِقَابَ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْبِرُ مَعَهُ أَنَّهُ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ أَوْ يُطْلِقُهُ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ: **{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ}** [هود: ١٠٦-١٠٨] وَأَمَّا الثَّانِي فَقَوْلُهُ: **{هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ * جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ}** ثُمَّ قَالَ فِي أَهْلِ النَّارِ: **{هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ}** إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **{إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ}** [ص: ٤٩-٥٦] وَلَمْ يَقُلْ فِيهِ مَا قَالَهُ فِي النَّعِيمِ.

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَذْكُرُ حُلُودَ أَهْلِ النَّعِيمِ فِيهِ، فَيَقِيدُهُ بِالتَّأْيِيدِ، وَيَذْكُرُ مَعَهُ حُلُودَ أَهْلِ الْعَذَابِ، فَلَا يُقِيدُهُ بِالتَّأْيِيدِ، بَلْ يُطْلِقُهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }** [البينة: ٦-٨]

وَلَا يَنْتَقِضُ هَذَا بِقَوْلِهِ: **{ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا }** [الجن: ٢٣] فَإِنَّ تَأْيِيدَ الْحُلُودِ فِيهَا لَا يَسْتَنْزِمُ أَبَدِيَّتَهَا وَدَوَامَ بَقَائِهَا، بَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا مَا دَامَتْ كَذَلِكَ، فَالْأَبَدُ اسْتِمْرَارُهُمْ فِيهَا مَا دَامَتْ مَوْجُودَةً، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهَا بَاقِيَةٌ أَبَدًا، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَتَأَمَّلْهُ.

عَلَى أَنَّ التَّأْيِيدَ قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِيمَا هُوَ مُنْقَطِعٌ، كَقَوْلِهِ عَنِ الْيَهُودِ: **{ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ }** [البقرة: ٩٥]

وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ أَبَدٌ مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِلَّا فَهُمْ فِي النَّارِ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ حِينَ يَقُولُونَ: **{ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ }** [الزخرف: ٧٧] وَقَوْلُ الْعَرَبِ: لَا أَفْعَلُ هَذَا أَبَدًا، وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذَكَّرَ شَوَاهِدُهُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ مُدَّةً مُنْقَطِعَةً، وَهِيَ أَبَدُ الْحَيَاةِ وَمُدَّةُ عُمرِهِمْ، فَهَكَذَا الْأَبَدُ فِي الْعَذَابِ هُوَ أَبَدٌ مُدَّةَ بَقَاءِ النَّارِ وَدَوَامِهَا.

الشيخ: الوصفُ بالأبدِ يقتضي الأبديةَ إلا أن يدلَّ دليلٌ، ولو كانَ أَنَّهُ يجوزُ أن ينقطعَ، لكن الأصل فيه الدوامُ { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا }، إلا أن يدلَّ دليلٌ، فقوله تعالى في اليهود: **{ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا }** [البقرة: ٩٥]، علمنا بالدليل أَنَّهُمْ سَيَتَمَنَّوْنَهُ، سَيَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَيَقُولُونَ: **{ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ }** [الزخرف: ٧٧].

القارئ: الْوَجْهُ الرَّابِعُ عَشَرَ: أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ دَارُ الشَّقَاءِ دَائِمَةً دَوَامَ دَارِ النَّعِيمِ، وَعَذَابُ أَهْلِهَا فِيهَا مُسَاوِيًا لِنَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِدَوَامِهِ لَمْ تَكُنِ الرَّحْمَةُ غَالِبَةً لِلْغَضَبِ، بَلْ يَكُونُ الْغَضَبُ قَدْ غَلَبَ الرَّحْمَةَ، وَانْتِفَاءُ اللَّازِمِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ مَلْزُومِهِ، وَالشَّأْنُ فِي بَيَانِ الْمُلَازِمَةِ، وَأَمَّا انْتِفَاءُ اللَّازِمِ فَظَاهِرٌ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: **(لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ)**، وَبَيَانُ الْمُلَازِمَةِ أَنَّ الْمُعَذِّبِينَ فِي دَارِ الشَّقَاءِ أَضْعَافُ أَهْلِ النَّعِيمِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ **(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا آدَمُ،**

فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْحَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَبْعَثَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: رَبِّي، وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ الصَّحَابَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ فَقَالَ: (إِنَّ مَعَكُمْ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَرَتَا: يَأْجُوجٌ وَمَأْجُوجٌ).

فَعَلَى هَذَا أَهْلُ الْجَنَّةِ عَشْرُ عَشْرِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا دَخَلُوهَا بِالْغَضَبِ، فَلَوْ دَامَ هَذَا الْعَذَابُ دَوَامَ النَّعِيمِ وَسَاوَاهُ فِي وُجُودِهِ لَكَانَتِ الْعَلْبَةُ لِلْغَضَبِ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ هِيَ الْعَالِيَةَ فَإِنَّ غَلَبَتَهَا تَقْتَضِي نُقْصَانَ عَدَدِ الْمُعَذَّبِينَ أَوْ مَدَّتِهِمْ.

يُوضِحُهُ الْوَجْهُ الْخَامِسَ عَشَرَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مِثَالًا وَأُمُودًا وَعِبْرَةً لِمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَجَعَلَ آلَمَهَا وَلَذَاتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ وَمَا فِيهَا مِنَ الثَّمَارِ وَالْحَرِيرِ، وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّارِ تَذَكْرَةً وَمِثَالًا وَعِبْرَةً، لِيَسْتَدِلَّ الْعِبَادُ بِمَا شَاهَدُوهُ عَلَى مَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَقَدْ أَنْزَلَ فِي هَذِهِ الدَّارِ رَحْمَتَهُ وَغَضَبَهُ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ آثَارَ الرَّحْمَةِ وَالْغَضَبِ، وَيَسَّرَ لِأَهْلِ الرَّحْمَةِ أَسْبَابَ الرَّحْمَةِ، وَلِأَهْلِ الْغَضَبِ أَسْبَابَ الْغَضَبِ، ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ الْعَلْبَةَ وَالْعَافِيَةَ لِمَا كَانَ عَنْ رَحْمَتِهِ، وَجَعَلَ الْإِضْمِحْلَالَ وَالزَّوَالَ لِمَا كَانَ عَنْ غَضَبِهِ فَلَا بُدَّ مِنْ حِينَ قَامَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَنْ يَرِثَهَا اللَّهُ وَمَنْ عَلَيْهَا أَنْ تَغْلِبَ آثَارَ غَضَبِهِ وَلَوْ فِي الْعَاقِبَةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَغْلِبَ الرَّحَاءُ الشَّدَّةَ، وَالْعَافِيَةُ الْبَلَاءَ، وَالْحَيْرُ وَأَهْلُهُ الشَّرُّ وَأَهْلُهُ، وَإِنْ أُدِيلُوا أَحْيَانًا فَإِنَّ الْعَلْبَةَ الْمُسْتَقِرَّةَ الثَّابِتَةَ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَآخِرُ أَمْرِ الْمُبْطِلِينَ الظَّالِمِينَ إِلَى زَوَالٍ وَهَلَاكِ، فَمَا قَامَ لِلشَّرِّ وَالْبَاطِلِ جَيْشٌ إِلَّا أَقَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْحَقِّ جَيْشًا يَطْفُرُ بِهِ وَيَكُونُ لَهُ الْعُلُوُّ وَالْعَلْبَةُ، قَالَ تَعَالَى: **{وَلَقَدْ**

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصفات: ١٧١-]

١٧٣] فَكَمَا غَلَبَتِ الرَّحْمَةُ غَلَبَتْ جُنُودُنَا، وَإِذَا كَانَ هَذَا مُقْتَضِي حَمْدِهِ وَحُكْمَتِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَهَكَذَا فِي دَارِ الْحَقِّ الْمَحْضِ تَكُونُ الْعَلْبَةُ لِمَا خَلَقَ بِالرَّحْمَةِ وَالْبَقَاءِ لَهَا.

وَسِرُّ هَذَا الْوَجْهِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ أَنَّ الْحَيْرَ هُوَ الْغَالِبُ لِلشَّرِّ، وَهُوَ الْمُهَيَّمُنُ عَلَيْهِ، الَّذِي لَوْ دَخَلَ جُحْرَ صَبٍّ لَدَخَلَ خَلْفَهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ وَيُغَيِّرَهُ، وَإِذَا كَانَتِ لِلشَّرِّ دَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ لِحِكْمَةٍ مَقْصُودَةٍ لِعَيْبِهَا قَصْدَ الْوَسَائِلِ، فَالْحَيْرُ مَقْصُودٌ مَطْلُوبٌ لِنَفْسِهِ قَصْدَ الْغَايَاتِ.

الْوَجْهُ السَّادِسَ عَشَرَ: أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الْجَنَّةَ يَبْقَى فِيهَا فَضْلٌ، فَيُنشِئُ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا يُسْكِنُهُمْ إِيَّاهَا بَعْدَ عَمَلٍ كَانَ مِنْهُمْ، مَحَبَّةً مِنْهُ لِلْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ، فَإِذَا كَانَ وُجُودُهُ وَرَحْمَتُهُ قَدْ اقْتَضِيَا أَنْ يَدْخُلَ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ بَعْدَ تَقَدُّمِ عَمَلٍ مِنْهُمْ وَلَا مَعْرِفَةٍ وَلَا إِقْرَارٍ، فَمَا الْمَانِعُ أَنْ تُدْرِكَ رَحْمَتُهُ مَنْ قَدْ أَقْرَبَ بِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَعَاذَرَ بِأَنَّهُ رَبُّهُ وَمَالِكُهُ، وَاکْتَسَبَ مَا أَوْجَبَ غَضَبَهُ عَلَيْهِ، فَعَاقَبَهُ بِمَا

اكتسبته، وعرفه حقيقة ما اجترحه وأشهده أنه كان كاذباً مُبطلًا، وأنَّ رُسُلَهُ هُمُ الصَّادِقُونَ الْمُحَقُّونَ، فَشَهِدَ ذَلِكَ وَأَقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ وَتَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ حَسْرَةً وَنَدَمًا، وَأَخْرَجَتِ النَّارُ مِنْهُ حَبْتَهُ كَمَا يُخْرِجُ الْكَبِيرُ حَبْتِ الْحَدِيدِ.

وَلَا يُقَالُ: الْحَبْتُ لَا يُفَارِقُهُمْ وَالْإِصْرَارُ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}** [الأنعام: ٢٨] فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ فِي حُكْمِ الطَّبِيعَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَهَذَا فِي الدُّنْيَا لِمَا يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ تَحْدُ عُقْدَةَ الْإِصْرَارِ قَدْ انْخَلَّتْ عَنْهُمْ وَانْكَسَرَتْ نَحْوَةُ الْبَاطِلِ وَلَكِنْ لَمْ تَظْهَرْ قُلُوبُهُمْ بِذَلِكَ وَحْدَهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}** [الأنعام: ٢٨] فَذَلِكَ قَبْلَ دُخُولِ النَّارِ فَقَالُوا: **{يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}** * بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [الأنعام: ٢٧-٢٨] وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَالِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ، وَقَبْلَ أَنْ تُذِيبَ حُومَهُمْ وَتُفَوِّسَهُمُ الَّتِي نَشَأَتْ عَلَى الْكُفْرِ، فَالْحَبْتُ بَعْدَ كَامِنٍ فِيهَا، فَلَوْ رُدُّوا وَالْحَالَةُ هَذِهِ لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَالْحِكْمَةُ وَالرَّحْمَةُ تَقْتَضِي أَنَّ النَّارَ تَأْكُلُ تِلْكَ اللَّحُومَ الَّتِي نَشَأَتْ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَتُنْضِجُ تِلْكَ الْجُلُودَ الَّتِي بَاشَرَتْ مَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ الَّتِي أَشْرَكَتْ بِهِ وَعَبَدَتْ مَعَهُ غَيْرَهُ، فَتَسْلِيطُ النَّارِ عَلَى هَذِهِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ مِنْ غَايَةِ الْحِكْمَةِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْمَسْأَلَةَ حَقًّا وَأَخَذَتِ الْعُقُوبَةَ مِنْهُمْ مَأْخَذَهَا وَعَادُوا إِلَى مَا فَطَرُوا عَلَيْهِ، وَزَالَ ذَلِكَ الْحَبْتُ وَالشَّرُّ الطَّارِئُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَلِلْعَزِيزِ الْحَكِيمِ حِينِيذٍ حُكْمٌ هُوَ أَعْلَمُ بِهِ، وَهُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ.

الْوَجْهَ السَّابِعَ عَشَرَ

الشيخ: طويل، رحمه الله، وعفا عنا وعنهُ، الله ينجينا وإياكم من النار، نعوذ بالله من النار، وليس في هذا القول سلوة ولا...، ليس في هذا المذهب سلوة للكافرين والعاصين، ثم قوله رحمه الله: إنها تعود إليهم الفطرة، ليس كلُّ المشركين أقرؤا، ليس كلُّ الكفار أقرؤا بما تقتضيه فطرتهم فهناك أمم كثيرة ملحدة لا تؤمن بالله وباليوم الآخر، يعني ليسوا كالمشركين الذين أخبر الله عنهم، الآن في العالم كثير من الكفرة ملحدون، لا يؤمنون بمبدأ ولا معادٍ ولا بخالقٍ قد فسدت فطرتهم فسادًا تامًا لم يبق عندهم شيء من الإيمان فلا يصدق عليهم قوله تعالى: **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}** [يوسف: ١٠٦] هذا ينطبق على الذين إذا سُئِلُوا مَنْ خَلَقَكُمْ؟ قالوا: الله {مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} أمَّا هؤلاء الملاحدة وإن كانوا ينتسبون إلى كيت وكيت إلى النصرانية لكن كثير منهم وغيرهم لا يؤمنون بشيء من الحق، كما يذكر هو ابن القيم وشيخه عن الباطنية والملاحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا باليوم الآخر، لا

يؤمنون بشيءٍ من أصول الدين وأصول الإيمان، فلم يبقَ معهم شيءٌ من الفطرة أبداً، ولا حول ولا قوة إلا بالله. نعم يا محمد

طالب: موطأ مالك

الشيخ: نعم، أعودُ بالله من النار، أعودُ بالله من النار.

(موطأ مالك)

القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ، قَالَ فِي مَوْطَأِ الْإِمَامِ مَالِكٍ:
بَابُ جَامِعِ مَا جَاءَ فِي الرِّضَاعَةِ:

وَحَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ
عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **(يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ
مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوَلَادَةِ).**

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ، أَنَّهُ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ
الْمُؤْمِنِينَ، عَنْ جَدَامَةَ بِنْتِ وَهْبِ الْأَسَدِيَّةِ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
يَقُولُ: **(لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَهْيَ عَنِ الْغَيْلَةِ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ)**
قَالَ مَالِكٌ: **"وَالْغَيْلَةُ أَنْ يَمَسَّ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ وَهِيَ تُرَضِعُ"**.

الشيخ: لأنه يؤدي ذلك إلى الحمل فيكدر الرضاعة، وهذا مشهور عند النساء الآن أن الرضاعة في أيام
الحمل تضر الرضيع وتكون سبباً في ضعفه وفي تعرضه لبعض العلل.

القارئ: وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ
زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّهَا قَالَتْ: **«كَانَ فِيهَا أَنْزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشْرَ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ
يَحْرَمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوِّبِيَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ فِيهَا يُقْرَأُ مِنَ
الْقُرْآنِ»** قَالَ يَحْيَى: قَالَ مَالِكٌ: **«وَلَيْسَ الْعَمَلُ عَلَى هَذَا»**.

كِتَابُ الْبُيُوعِ

الشيخ: سبحان الله العظيم، لكن علمنا من الواقع وجمع الصحابة من القرآن أن هذه الرضعات قد نسح
لفظها كما نسح لفظ آية الرجم، فقولها: "ثم نسحن بخمس رضعات فتؤبى رسول الله وهو فيما يقرأ من
القرآن" هذا يدفعه اتفاق الصحابة على عدم إثبات هذه الرضعات، إثبات لفظ [...]، فليس فيما يتلى
ذكر هذه الخمس، لكن هذا يؤخذ منه إثبات الحكم بس [فقط] إثبات الرضعات وأن الذي يحرم هو خمس
رضعات، ولا يتقيد ذلك بعشر، ويشهد لهذا حديث سهل بن سعيد امرأة أبي حذيفة قال: **(أرضعني
خمس رضعات تحرمي عليه).**

القارئ: كتاب البيوع:

بَابُ مَا جَاءَ فِي بَيْعِ الْعُرْبَانِ

الشيخ: العُربان هو العُربون، الذي يسميه النَّاسُ العربون، يعني هل يجوز؟ جاء في الحديث التَّهْيِ عنه، وفيه خلافٌ، والصَّحِيحُ أَنَّهُ يَجُوزُ أَخْذُ الْعَرَبُونَ تَوْثِقَةً لِعِزْمِ الْمُشْتَرِي عَلَى شِرَاءِ السِّلْعَةِ، فَإِنْ مَضَى دَفْعَ بَقِيَّةِ الثَّمَنِ وَإِلَّا كَانَ الْعَرَبُونَ لِلْبَائِعِ وَيَكُونُ جَبْرًا لَهُ عَنِ فسخِ الْبَيْعِ، فَسَخِ الْمُشْتَرِي لِلْبَيْعِ.

القارئ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنِ مَالِكٍ، عَنِ الثَّقَفَةِ عِنْدَهُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «نَهَى عَنْ بَيْعِ الْعُرْبَانِ» قَالَ مَالِكٌ: «فِيمَا نُرَى، وَاللَّهِ أَعْلَمُ، أَنَّ يَشْتَرِي الرَّجُلُ الْعَبْدَ أَوْ الْوَلِيدَةَ أَوْ يَتَّكَرَى الدَّابَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِي اشْتَرَى مِنْهُ أَوْ تَكَارَى مِنْهُ: أُعْطِيكَ دِينَارًا، أَوْ دِرْهَمًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَقَلَّ، عَلَى أَنِّي إِنْ أَخَذْتُ السِّلْعَةَ أَوْ رَكِبْتُ مَا تَكَارَيْتُ مِنْكَ، فَالَّذِي أُعْطِيكَ لَكَ بَاطِلًا هُوَ مِنْ ثَمَنِ السِّلْعَةِ أَوْ مِنْ كِرَاءِ الدَّابَّةِ، وَإِنْ تَرَكْتُ ابْتِياعَ السِّلْعَةِ أَوْ كِرَاءِ الدَّابَّةِ، فَمَا أُعْطَيْتُكَ لَكَ بَاطِلٌ بغيرِ شَيْءٍ».

قَالَ وَحَدَّثَنِي مَالِكٌ: «وَالْأَمْرُ عِنْدَنَا أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَنْ يَبْتَاعَ الْعَبْدَ التَّاجِرَ الْفَصِيحَ، بِالْأَعْبُدِ مِنَ الْحَبْشَةِ أَوْ مِنْ جَنْسٍ مِنَ الْأَجْناسِ، لَيْسُوا مِثْلَهُ فِي الْفَصَاحَةِ، وَلَا فِي التَّجَارَةِ وَالنَّفَازِ وَالْمَعْرِفَةِ، لَا بَأْسَ بِهَذَا أَنْ تَشْتَرِيَ مِنْهُ الْعَبْدَ بِالْعَبْدَيْنِ، أَوْ بِالْأَعْبُدِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، إِذَا اخْتَلَفَ فَبَانَ اخْتِلَافُهُ، فَإِنْ أَشْبَهَ بَعْضُ ذَلِكَ بَعْضًا حَتَّى يَتَّقَارَبَ، فَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ اثْنَيْنِ بِوَاحِدٍ إِلَى أَجَلٍ. وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَجْناسُهُمْ».

قَالَ مَالِكٌ: «وَلَا بَأْسَ بِأَنْ تَبِيعَ مَا اشْتَرَيْتَ مِنْ ذَلِكَ، قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْفِيَهُ إِذَا انْتَقَدَتْ ثَمَنُهُ مِنْ غَيْرِ صَاحِبِهِ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ مِنْهُ».

قَالَ مَالِكٌ: «وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَنْقَى جَنِينٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، إِذَا بِيَعْتَ لِأَنَّ ذَلِكَ غَرَرٌ لَا يُدْرَى أَذَكَرَ هُوَ أَمْ أُنْثَى؟ أَمْ حَسَنٌ أَمْ قَبِيحٌ؟ أَوْ نَاقِصٌ أَوْ تَامٌ؟ أَوْ حَيٌّ أَوْ مَيِّتٌ؟ وَذَلِكَ يَضَعُ مِنْ ثَمَنِهَا».

قَالَ مَالِكٌ فِي الرَّجُلِ يَبْتَاعُ الْعَبْدَ أَوْ الْوَلِيدَةَ مِائَةَ دِينَارٍ إِلَى أَجَلٍ، ثُمَّ يَنْدِمُ الْبَائِعُ فَيَسْأَلُ الْمُبْتَاعَ أَنْ يُقِيلَهُ بِعَشْرَةِ دَنانِيرٍ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِ نَقْدًا أَوْ إِلَى أَجَلٍ، وَيَمْحُو عَنْهُ الْمِائَةَ دِينَارٍ الَّتِي لَهُ قَالَ مَالِكٌ: «لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَإِنْ نَدِمَ الْمُبْتَاعُ، فَسَأَلَ الْبَائِعَ أَنْ يُقِيلَهُ فِي الْجَارِيَةِ أَوْ الْعَبْدِ وَيَرْيِدَهُ عَشْرَةَ دَنانِيرٍ نَقْدًا، أَوْ إِلَى أَجَلٍ أَبْعَدَ مِنَ الْأَجَلِ الَّذِي اشْتَرَى إِلَيْهِ الْعَبْدَ أَوْ الْوَلِيدَةَ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغِي، وَإِنَّمَا كَرِهَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْبَائِعَ كَأَنَّهُ بَاعَ مِنْهُ مِائَةَ دِينَارٍ لَهُ إِلَى سَنَةٍ، قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ بِجَارِيَةٍ، وَبِعَشْرَةِ دَنانِيرٍ نَقْدًا أَوْ إِلَى أَجَلٍ أَبْعَدَ مِنَ السَّنَةِ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ بَيْعُ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ إِلَى أَجَلٍ».

قَالَ مَالِكٌ فِي الرَّجُلِ يَبِيعُ مِنَ الرَّجُلِ الْجَارِيَةَ بِمِائَةِ دِينَارٍ إِلَى أَجَلٍ، ثُمَّ يَشْتَرِيهَا بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الثَّمَنِ الَّذِي بَاعَهَا بِهِ، إِلَى أْبَعَدَ مِنْ ذَلِكَ الْأَجَلِ الَّذِي بَاعَهَا إِلَيْهِ، إِنَّ ذَلِكَ لَا يَصْلُحُ، وَتَفْسِيرُ مَا كَرِهَ مِنْ ذَلِكَ الْأَجَلِ، أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ الْجَارِيَةَ إِلَى أَجَلٍ، ثُمَّ يَبْتَاغُهَا إِلَى أَجَلٍ أْبَعَدَ مِنْهُ يَبِيعُهَا بِثَلَاثِينَ دِينَارًا إِلَى شَهْرٍ، ثُمَّ يَبْتَاغُهَا بِسِتِينَ دِينَارًا إِلَى سَنَةٍ، أَوْ إِلَى نِصْفِ سَنَةٍ، فَصَارَ إِنْ رَجَعَتْ إِلَيْهِ سَلَعَتْهُ بِعَيْنِهَا، وَأَعْطَاهُ صَاحِبُهُ ثَلَاثِينَ دِينَارًا إِلَى شَهْرٍ بِسِتِينَ دِينَارًا إِلَى سَنَةٍ أَوْ إِلَى نِصْفِ سَنَةٍ فَهَذَا لَا يَنْبَغِي».

الشيخ: يعني هذه هي العينة سواء اشتراها بأقل مما باعها به أو اشتراها بأكثر، المهم أنه يؤول إلى بيع مالٍ بمالٍ مع التفاضل والنساء.

القارئ: بَابُ مَا جَاءَ فِي مَالِ الْمَمْلُوكِ

الشيخ: حسبك، الله المستعان، رحمه الله، نعم يا شيخ محمد

طالب: في بعض الأسئلة

الشيخ: الشيخ [.....] ما هو بفيه؟

الطالب: لا

الأسئلة:

السؤال ١: مقيمٌ لديه سفرٌ، والمطارُ داخلَ المدينة، صَلَّى الظُّهْرَ بمسجدِ الحيِّ، والرحلةُ قبلَ صلاةِ العصرِ، ولن يصلَ إلى وجهتهِ إلا بعدَ خروجِ العصرِ فماذا يفعلُ، هل يجمعُ الظُّهْرَ والعصرَ بمسجدِ الحيِّ؟ أو الأفضلُ أن يصلِّي العصرَ

الشيخ: في المطارِ

السؤال: بوقتِها بالطائرة، معَ عدمِ القدرةِ على القيامِ والاتِّجاهِ للقبلة؟

الجواب: عندي أنَّه لا بأسَ أن يجمعَ، هذه حاجةٌ، والجمعُ يجوزُ لأسبابٍ وأعدادٍ كثيرةٍ، فيمكنُ أن يصلِّي العصرَ في المطارِ.

طالب: يصلِّي الظُّهْرَ في مسجدِ الحيِّ أم يجمعُها؟

الشيخ: يصلِّيها في المطارِ إذا تحقَّقَ الرِّحْلَةُ، إذا أعلنوا صَلَّى العصرَ

طالب: معَ الظُّهْرِ؟

الشيخ: صَلَّى الظُّهْرَ في مسجدهِ، في مسجدِ الحيِّ، وخرَجَ للمطارِ ثمَّ أعلنَ عن الرِّحْلَةِ في وقتِ الظُّهْرِ وهو يخشى فواتَ صلاةِ العصرِ، يصلِّي العصرَ.

السؤال ٢: ما حكمُ التَّسْوِيقِ الشَّبَكِيِّ عن طريقِ البيعِ المباشرِ وتعطيِ عمولاتٍ بشكلٍ مسلسلٍ لكلِّ مَنْ قامَ بالشِّراءِ عن طريقٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ وعن طريقٍ مَنْ دَعَوْهُمْ للشِّراءِ؟

الجواب: هذه طرائقُ أحدثها المحتالون على الاستكثارِ مِنَ الأرباحِ وهي فيها ربطُ الزبائنِ بعضهم ببعضٍ، وتطويرِ الزبائنِ بطرقٍ فيها احتيالٌ، فعندي أنَّ هذه الطَّرائِقَ بهذه الطَّريقةِ يعني تأتي وتدفعُ مبلغًا وتكونُ عضوًا ثمَّ أنت تجتلبُ لهم زبائنَ ويعطونك على كثرةٍ...، فيها غررٌ، مشهورةٌ، أعدِ السُّؤالَ نسمعهُ مرَّةً ثانيةً

القارئ: ما حكمُ التَّسْوِيقِ الشَّبَكِيِّ؟

الشيخ: الشَّبَكِيُّ، يكفي أنَّها شبكةٌ، نعم الشَّبَكِيُّ التَّسْوِيقِ الشَّبَكِيُّ

القارئ: عن طريقِ البيعِ المباشرِ وتعطيِ عمولاتٍ بشكلٍ مسلسلٍ لكلِّ مَنْ قامَ بالشِّراءِ عن طريقٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ وعن طريقٍ مَنْ دَعَوْهُمْ للشِّراءِ؟

الشيخ: هو ما ذكرْتُ، والله أعلمُ، فيها غررٌ وفيها احتيالٌ.

السؤال ٣: مطارُ الملكِ خالدٍ في الرِّياضِ، هل يُعتَبَرُ داخلَ المدينة؟

الجواب: لا، ليس داخل المدينة.

السؤال ٤: أنا شابُّ أبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا وطالب في مرحلة الثانوية العامة، تعلّقتُ وأعجبتُ بشابٍ يدرسُ معي، مع العلم أنّي والله لا أرى حبه بشهوةٍ أو نحو ذلك من الأمور الجنسية المشينة، وإنما هو تعلّق قلبي والتّفكيرُ فيه في كلّ ساعةٍ، فكيف السبيلُ إلى الخلاصِ من هذه المصيبة؟

الجواب: ادعُ الله أن يصرف قلبك عن التعلّق الذي لا خير فيه، واجتهد في الإعراض عنه والبعد عنه وعن النّظر إليه؛ لأنّ هذا قد يفضي بك إلى المعنى الذي أنت تذكر أنّه لم يخطر ببالك، لا يؤمن عليك، لا تأمن على نفسك أن يستدرجك الشيطان حتّى تقع في الأمر البين المحذور البين، ادعُ الله، وتعوّد بالله من الشيطان الرجيم، وأكثر من ذكر الله، احتم واعتصم برّبك، فالغلُو في المخلوق والتعلّق به مذمومٌ ويجرُّ إلى شرّ.

السؤال ٥: متى يرتفع عن المرأة اليتيمة اليتيم هل بالبلوغ أم بالزّواج؟

الجواب: لا، بالبلوغ، بالبلوغ، {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ...} [النساء:٦]، بعلامةٍ من علامات البلوغ تكون بالغةً فيرتفع عنها حكم اليتيم واسم اليتيم.

السؤال ٦: أنا طبيبٌ متخصصٌ في مجالٍ دقيقٍ، وأحياناً يطلب مني بعض الأطباء من النصارى واليهود المشورة في مجالي الطيّب، فهل يجوز لي أن أعينهم في ذلك وأنصح لهم أم أعتذر منهم؟

الجواب: إذا كنت تعلم من حالهم ظهور العداوة للإسلام والمسلمين فلا تعنهم، وإن كانوا أشخاصاً عاديين لا يظهر منهم الحقد والعداء للإسلام بل هم ناسٌ عاديون، أشخاصٌ عاديون فلا مانع من أن تشير عليهم بما تراه، ولا سيما إذا كان هذا ممّا قد يتألف قلوبهم ويستميلهم إلى الإسلام والمسلمين فإنّه حينئذ يكون حسناً، فهذا الأمر يحتاج إلى التفريق بين الأشخاص والأحوال والآثار، بين الأشخاص والأحوال والآثار.

السؤال ٧: ما هو أفضل أنواع الصبر؟

الجواب: ذكر العلماء ذلك وقالوا: أفضل أنواع الصبر الصبر على طاعة الله ثم الصبر عن معاصي الله ثم الصبر على أقدار الله. إلى آخره، اختتم.

السؤال ٨: في بعض بلاد المسلمين تقوم شركات بيع الدجاج بالذبح الشرعي لكننا لا نعلم إن كان الذي يذبح مسلماً أم من الهندوس لانتشار عمالة الهندوس فيها، ويصعب علينا التحري، فهل علينا أن نتورع من أكل هذه اللحوم؟

الجواب: نعم، (دَعُ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ)، (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشَبَّهَاتٌ) إِذَا هَذَا مَشْكُوكٌ فِيهِ وَلَا سِيَّمَا أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى الْعِمَالَةِ كَمَا ذَكَرْتَ أَنَّ هِنْدُوسَ فَهَذَا يُرْجَحُ أَنَّهُمْ مُسْتَحْدَمُونَ فِي ذَبْحِ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ، فَتَوَرَّعُوا عَنْ أَكْلِ هَذِهِ الذَّبَائِحِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.